

أيتها الهاوي لماذا لم تغردن بالعشرات؟

١ دَعَكَ مِنْهَا -

دَعِ الجُكْرُودَةَ

دَعَهَا

عَلَى غَيْرِ

مَا هِيَ

فَالسُّرَاغُ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ

وَالشُّكُّ يَتَدَبَّلُ تَحْفَرُهُ الرُّوْيُ

تَحْتَ الرِّيشِ

بِالْأَضْبَعِ الْمُرْتَجِفِ

قِيلَ

هَذِهِ رُشُومٌ

يُحَوَّلُ تَدَفَّقُ الْمَاءِ فِيهَا

دُونَ أَنْ يَغْمِضَ حَارِسُ الْمُتَحَفِّ

عَيْنَيْهِمَا مَاءٌ قُلُّ مَا وَزَاعَكَ

تُرْجَمَانَةُ الْأَشْوَابِ

مِنْ فِيمَا

مِنْ فَمِ الْقَيْئِيَّةِ الْعَابِرَةِ لِلْمُجِيطَاتِ

أَسْتَلُّ مَجْرَعَةَ مَدْعُوكَةَ

عُنُودَ

أَسْتَلَّهَا

بِمِثْقَالِ مِثْقَلِهِ

فَالِذَا بِي نَوْرَسٌ عَائِدٌ

وَإِذَا بِالْحُلْجَانِ

مُخْرُوفِي

٢ نَمَّةٌ

حَيْثُ الْأَرْضُ

أَوْ هِيَ مِنْ فَرَاثَةِ

مَا فَطَرُوا يَتَذَوُّونَ

فِي مَدَائِنَ

مِي

فِضَّةٌ

مَفْشُوشَةٌ

رُؤْتِ الْعِلَّةِ الْأَوْلَى

هَكَذَا

لَنْ

أُضِلَّلَ

غَيْرِ حُرَّاسِ الْمَاءِ

وَلَنْ أَسْوَدَ عَلَى مَسَامِعِ الْعَطَشِ

يَتَوَى حُنْجُرَةَ الْحَارَةِ

هَكَذَا.. دَائِمًا

أَمَّا

جِيئَمَا تَمَعُ

فِرَاحُ الْقَيْلُولَةِ

فِي شِبَاءِ الضُّوءِ

وَحَيْثَمَا تُؤْوِلُ كَأْسُ الْعَابِرِ

إِلَى عَيْبِدِي

فَمَاذَا يَضْمُرُنِي

إِنْ فَمِ الْبُزُكَانِ

أَوْ أَنَا تَرَكْتُ الْمَاءَ وَاقِفًا

عَلَى قَدَمِ وَاجِدَةٍ

فِي حُلْمِ بَحَارِ

أَعْمَى

حِدَادًا عَلَى

خُلُودِ الْعُشْبِ

إِلَى الرَّاحَةِ

سَوْفَ

أَنْتُرُ بَاقَةَ

مِنْ طَوَاجِينِ الْهَوَايِ

فَوْقَ شِفَاهِ كُلِّ مَوْجَةٍ

لَا تُشْبِهُ نَفْسَهَا

إِذَنْ هَذَا مَصَادِي

سَلَّةٌ

تَهْرُ أَسْتَأْفَهَا

عَلَى الْعَنْبِ

خِلْسَةً

كَأَنَّ الرُّبْدَ

كَلَامُ الْمَوْتَى

بَلْ

كَأَنَّ

فِتْجَانِي

مَا عَادَ فِي حَاجَةِ

إِلَى نَصَائِحِ الرُّمَادِ

هُوَ جَوْهَرُ الرُّمَادِ

فَرِيَسْتُهُ

قَوْلُهُ الْأَخْيَرُ

وَتَغْلَهُ الْمَنَسِي

تَحْتَ مَقْعَدِ طَلِّ شَاغِرًا

فِي حَاطَةِ الْعُمَيَّانِ

عِنْدَ نِصْفِ الْمَسَافَةِ

أَوَّلُ الْمَوْتَى

تَوَحَّى أَنْ أُعِيرَهُ

مُجْتَبِي

يَا إِلَهِي

قَبْلَ حِينَ قَبْلَ أَنْ يَزْكَلَّ شَحَادَةُ عَجُوزٍ

مُجْمَعَةُ الْمَدَى

كَانَتْ الْعَرَاتُ دَنَائِرَ

مِنْ

رَبْدٍ

خَائِرِ

وَتَكَانَ الرُّيْنُ الْمُحْتَكُ

سَكَكَيْنِ مَغْرُورَةٍ عَلَى مَهَلِ

فِي عُنُقِي الصَّدَى

بِتِلْكَ فَآكِهَةُ الْغِيَابِ

تُوْنِيَجَاتِ

لَا تَعْرِفُ أَنَّهَا تُوْنِيَجَاتِ

إِلَّا لِأَحْقَا.. عِنْدَمَا يَصِيرُ الْكَلَامُ

أَفْقُونًا مُبَاحًا

عِنْدَيْدِ

سَوْفَ تَتَفَحُّ

مُجْبُوبُ كُلِّ نَظْرَةٍ شَارِدَةٍ

بِعَشْرَاتِ الْحُرْرِ الَّتِي يَتَمُو

عَلَى

أَطْرَافِهَا

قَصَبِ الشَّبَقِ

سَوْفَ
يَخْمُرُ
جَلْدَ الْوَرَقِ الْأَمْلَسِ
كُلَّمَا حَكَكَتَاهُ
بِأَيْدِينَا
وَلَسَوْفَ تَلْمَعُ
تَحْتِ إِنْطِ الطَّبِيعَةِ
مَرَايُهُ نُشْبَةُ أَخْذِيَّةِ الْجَزَارِيِّينَ
نَاهِيكَ
عَنْ عُضْفُورٍ
بِمَسْتَقِظٍ فَجَاءَهُ
عَلَى فَجِيحِ الْأَبَاجُورَةِ
بَيْنَ شَرَارَتَيْنِ
قَلُّ
أَنْ يَصِيرَ لِلْفَرَاشَةِ
جَسَدُ امْرَأَةٍ
إِلَى
مَا
لَا
بِهَيَاةٍ
دُونَ أَنْ تَضْهَلَ هَذِهِ الْحَوَاسُ
تَحْتِ سَيْطَانِ الْأَرْقِ
مَا هَذِهِ الْحَبِيبَةُ
أُرْعُنُ
تَعْرُدُ مَجْرُوحِ الْعُدَدِ الصَّمَاءِ
عَلَى يَدَيْهِ
عَدَّازِي
مُنْذُ أَنْ
أَخْرَجَ السَّيْدِيمُ كُنْفَرًا حَيًّا
مِنْ قُبْعَتِهِ
لَمْ يَعُدْ
لِلْمَعَانِ الْمَقْبُودِ
عِنْدَ أَشْفَلِ الْحَائِطِ
مِنْ لِسَانِهِ
مَا يَقِيسُ
بِهِ
نَفْسُهُ
سِوَى

مُغَلَّبِيَّةِ سَوْدَاءَ
هِيَ
بِالصُّرُورَةِ
تِلْكَ الْمُوجَةُ الَّتِي
تَنْقُصُ الْبَحْرَ
حَتَّى
لَكَأَنَّهَا
أَعْلَى
مِنْ
الْبِقَطَاتِ
رِيحِ الْقَرَاصِمَةِ
فِي
ضَوْءِ
مَا نَقَّسْتُهُ
أَصَابِعِ الْعَتَمَاتِ
فَوْقَ بَيْضَةِ الدُّبِنَاضُورِ
أَتَى لَهَا
أَنْ تَنْظَاهَرَ
بِإِنْقَادِ نَجْمَةِ الشَّيْطَانِ
مِنْ الْعَرَقِ
شِيرُوفَرِينَا
مَا هُمْ
فَالنَّسِيَانُ سَفِينَةٌ مَثْقُوبَةٌ
وَالذَّاكِرَةُ
طَحَلْتُ أَعْمَشُ
يَقْفِرُ عِنْدَ سَاجِلِ الْفَجْرِ
حَوْلَ أَقْدَاجِهِ الْحَاسِرَةِ
سَفُنُ غَيْرِهَا
كَبِيرًا
مَا تَوَهَّمُ نَيْشُونَ
أَنَّهَا مُجْرُودُ صَيْبَانِ تَرْعَى
فِي رَأْسِ الْمُشْتَرِي
بَيْنَمَا هِيَ
عِنْدَ بَاعَةِ الْمَلَابِسِ الْمُشْتَعْمَلَةِ
أُرْزَازٌ هَائِلَةٌ تَهْبِطُ عَلَيْهِمْ
بَيْنَ الْقَيْتَةِ وَالْأُخْرَى
مِنْ السَّمَاءِ
كُلَّمَا حَوَّكْتَ الشُّجُنُ

أَكْسَامَهَا
قُتِفَدُ
يُدِيرُ ظَهْرَهُ
لِلْبَحْرِ
مَاذَا
عَسَاهُ
فِي مَسَاءِ كَهَذَا
أَنْ يَفْعَلَ
سِوَى أَنْ تَفْرُوقَ عَيْنَاهُ
بِشِرْذِمَةٍ مِنَ الصَّنَائِيرِ
وَالْحَيْتَانِ
فِي مَسَاءٍ آخَرَ
أَوْسَعُ
مِنْ ظِلِّهِ
سَوْفَ يَصُولُ
عَلَى رِيشِ الدُّخَانِ
بِأَعْدَارِ الْأَخْطَبُوطِ
ذَلِكَ الْبَحَارُ ذَاتَهُ
بِأَقْدَامِهِ الْعَتِيَاءِ
هُوَ أَيْضًا مِنْ سَوْفَ نَيْشُ
عِنْدَ مُتَّصِفِ اللَّيْلِ
ذُبَابِ الرُّغْبَةِ
عَنْ أُتُوفِ
لَا
يَضُمُّهَا
عَادَةٌ
إِلَّا هَوَاةُ التُّومِ بِالْمُرَاسَلَةِ
فَوْقَ وَجْهِهِمْ
أَلَيْسَ اللَّيْلُ
أَقْصَرَ مِنَ الْحَلْمِ
إِذَنْ
أَيُّ شَفَقَةٍ
سَوْفَ تُؤَاجِي
بَيْنَ وَرْدَةِ الْعَدَمِ
وَأَنْفَالِهَا
ذُكَّارَةٌ بِأَسْرِهَا
لَا
بُدُّ

أَنْ تَكُونُ
عَوْشَ طَائِرِ الْمُرْزَلَةِ
بُدُونِ مُتَارَعِ
كَيْفَ لَا
وَهِيَ الَّتِي تَقُودُ الْإِنْطِ إِلَى رَاحَتِهِ
وَالنُّطْفَةَ إِلَى مِعْرَاجِهَا
لَوْحَةً مَسْرُوقَةً
عَجَبًا
سَمَاءَ خَرَسَاءَ مِثْلَ هَذِهِ
مَا بَالُهَا
فِي خِصَمِّ هَذَا الْمُرَادِ الْعَلْتِي
مَا قَبِضَتْ تَرْهُو عَلَيْنَا بِأَقْرَاطِ مِنْ
مُفْتَتِحَاتِ سَمَاءِ
أُخْرَى
قَلَمُ الْأَتْنَى
مِنْ
عَسَلِي
رُكْبَتَاهُ
وَلَا يَدُجُو أَخْلَى خَسَارَاتِهِ
إِلَّا فِي جِرَارٍ مِنَ الرُّمَادِ

مقاطع من قصيدة طويلة بنفس العنوان

صدر حديثاً

الحي اللاتيني

رواية

سهيل ادريس

الطبعة الحادية عشرة

دار الآداب - بيروت